تيمة الحرب في شعر جرير

The theme of war in Jarir's poetry

صبرى منيجل *
جامعة باتنة 1الحاج لخضر
sabra.menidjel@univ-batna.dz

جميلة سيش
جامعة باتنة 1الحاج لخضر
djamila.siche@univ-batna.dz

مخبر المتخيل وحضارات المشافهة والكتابة والصورة

تاريخ الإرسال: 15-02-202 تاريخ القبول: 07-06-2026

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى استجلاء مكنونات التيمة الحربية، وكشف جواهرها في شعر جرير بن عطيّة التميمي الذي كان مرآة عاكسة للقضايا السياسية والتاريخية التي حدثت في العصر الأموي كما كان شاهدا أمينا على ظهور الصراع الحربي بين القبائل العربية وعودة العصبية واستفحال شرّها، وانطلاقا ممّا تقدم يركز هذا البحث على تيمة الحرب كموضوع مهيمن على شعر جرير ويسعى إلى تبيان الكيفية التي تجلّت بها تيمة الحرب بوصفها تيمة رئيسة في نصوصه الشعرية.

الكلمات المفتاحية: تيمة؛ حرب؛ شعر جرير؛ عصر أموي.

Abstract:

This article aims to explore the hidden aspects of the war theme and reveal its essence in the poetry of Jarir ibn Atiyyah al-Tamimi, who was a mirror reflecting the historical issues that occurred in the Umayyad era. He was also a faithful witness to the emergence of the war conflict between the Arab tribes, the return of tribalism, and the intensification of its evil. Based on the foregoing, this research focuses on the war theme as a dominant subject in Jarir's poetry and seeks to demonstrate how the war theme manifested itself as a main theme in his poetic texts.

Keywords: Theme; War; Jarir's Poetry; Umayyad Era.

مقدمة:

يعالج هذا المقال تيمة الحرب في شعر جرير، حيث شهدت الفترة التي عاش فيها جرير حروبا كثيرة بين القبائل العربية المتناحرة فيما بينها من جهة، وبين فرسان بني أميّة ضد أعدائهم الطامعين بالولاية والخلافة من جهة أخرى فاتجه شعر جرير لنصرة البيت الأموي والذود عنه بلسانه وسيفه إذا لزم الأمر، ومن ثمة جاء مثقلا بألفاظ حماسية صدّاحة،

* ـ المؤلف المُراسل.

ويعنى الشعر الحربي بوصف حماسة الأبطال وفروسيتهم، وهو الذي قيل في المواقع والحروب. ويركز هذا البحث على تتبع تيمة الحرب واستقصائها في ديوان جرير، ثم تصنيفها في جداول ومخططات تبعا لنظرية الإحصاء الموضوعاتي، ومن هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما المقصود بتيمة الحرب؟
- وكيف تجلّت تيمة الحرب في شعر جرير وما وظيفتها الفكرية والفنّية في ديوانه؟
- وما هي المقومات النفسية التي يمكن تلمسها في قصائده؟

1- شعر جرير وسياقه التاريخي:

يعّد الشعر السياسي من أبرز فنون الشعر في العصر الأموي، لأن طبيعة العصر آنذاك كانت تفرض على الشعراء تصوير الفتن الناشئة بين الأحزاب السياسية المتصارعة على سلطان الحكم، فدخل جرير بشعره لساحة المعارك الحربية فراح يصور مناظر القتال وبشاعة الحرب التي تعتمد على القوة والبطش، فكان يسلك مسلكا وعرا وهو مسلك الهجاء السياسي الذي يتسم بالعنف والشدّة، "وفي شعر جرير أبيات كثيرة تشير إلى حوادث سياسية، ووقائع حرب، وفتن كان يتخذها وسيلة لغاية الهجاء وتعيير القبائل"[1] ولم يكن جرير ليترك حادثة سياسية إلاّ سجلها في شعره، وقد مزج وصف الحرب بالهجاء والسخرية من خصمه والحطّ من قدره والإطاحة به كما فعل مع عدوه اللدود الأخطل، حيث عيّره بالهزيمة النكرّاء والذّل الكبير الذي لحق به وبقومه فيقول عن الأخطل :

بَــكى دَوبَلٌ لا يَرقَءُ اللهُ دَمــــعَــهُ*** أَلا إِنَّما يَبكي مِـتنَ الذُلِّ دَوبَــلُ
جَزِعتَ اِبــنَ ذاتِ الفَلسِ لَمّا تَدارَكَت*** مِنَ الحَربِ أَنيابٌ عَلَيكَ وَكَلكَلُ
فَإِنَّكَ وَالجَــحّافَ يَــومَ تَحُضُّهُ***أَرَدتَ بِذاكَ المُكثَ وَالــوِردُ أَعجَلُ
سَرى نَحوَكُم لَيلٌ كَأَنَّ نُجومَــهُ*** قَنـــاديلُ فيهِنَّ الذُبـــالُ المُفَتَّلُ
فَمــا اِنشَقَّ ضَوءُ الصُبحِ حَتّى تَعَرَّفوا***كَراديسَ يَهــديهِنَّ وَردٌ مُحَجَّلُ
فَقَــد قَذَفَت مِن حَربِ قَيسٍ نِساؤُكُم*** بِأَولادِها مِنهــا تَمامٌ وَمُعجَلُ

[1]- زكي المحاسنى: شعر الحرب في أدب العرب (في العصرين الأمويّ والعبّاسي إلى عهد سيف الدّولة) ، دار المعارف، القاهرة، ص 121.

وَمَقتــولَةٌ صَبراً تَــرى عِندَ رِجلِها*** بَــقيراً وَأُخرى ذاتُ بَعلٍ تُوَلوِلُ[1]

في هذه الأبيات يهجو جرير الأخطل وقومه ويعيّرهم بالجبن والذّل والضعف والانكسار، ويميل للقيسيّين ويمدح شجاعتهم ويرفع من شأنهم وكان جرير،على عادة الشعراء العرب القدامى يستهل قصائده المدحية والهجائية بالغزل التقليدي، وقد احتلت أيّام العرب وحروبهم القسم الأكبر من شعر جرير واهتم بها الشاعر اهتماما طاغيا لأنها تعّد مصدرا مهما من مصادر معرفة العلاقات السياسية بين القبائل العربية، كما أنها تمثل وثيقة تاريخية للأيّام التي انتصر فيها قومه وانهزم فيها أعداؤه، فهو يذكر أسماء تلك الحروب وعادة كانت تسمى باسم المكان الذي دارت فيه الحرب مثل يوم دير الجماجم، وأيضا يعّد أسماء الفرسان المنتصرين ويصف بطولاتهم فهذه هي العناصر التاريخية أضف إليها العناصر السياسية التي تظهر سياسة الخلافة الأموية بشقيّها السفياني والمرواني، ومدح الولاة والقادة العسكريين أمثال والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان الذي يعد سيف الدولة الأموية، وقد خصه جرير بجانب كبير من المدح وذكر شدّته وبطشه وصولته في الحروب، حيث شاع بين الناس أن لا صولة كصولة الحجاج في الحروب، والطابع الغالب على شعر جرير هو طابع العصبية القبلية كالهجاء، والمناقضات، والفخر والرثاء، والمديح، كما ضلّت الحرب الهجائية مستعرة بين جرير والأخطل إلى حين وفاة الأخطل "وقد وجد جرير في نصرانية الأخطل وقومه منفذا سهلا إلى هجائهم، فلم تكن تخلو أهجية له فيهم من الإشارة إلى دينهم وتعييرهم بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وأداء الجزية ونحو ذلك"[2] وفي هذا ذكر لمثالب التغلبيين قوم الأخطل ونشر فضائحهم علنا.

2- مفهوم التيمة:

تزامن ظهور التيمة كمفهوم مركزي في الدراسات الأدبيّة مع ما يعرف بالنقد الموضوعاتي(critique thématique)الذي ظهر في بيئة غربية وبالتحديد في أوروبا إبان ستينيات القرن العشرين مع تيار النقد الجديد،وقد أشار الناقد"سعيد علوش" إلى مفهوم

[1]- جرير بن عطيّة: ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1046 هـ- 1986 م، ص 360.

[2]- إحسان النص: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر، ط2، 1973 م، ص 461.

مصطلح التيماتية أو الموضوعاتية على أنه "هو التردد المستمر في فكرة ما، أو صورة ما، فيما يشبه لازمة أساسية وجوهرية، تتخذ شكل مبدأ تنظيمي ومحسوس أو ديناميكية داخلية، أو شيء ثابت، يسمح للعالم المصغر بالتشكل والامتداد"[1] وبالتالي فإننا نعني بمصطلح التيمة حضور فكرة ما في نص معين وهذه الفكرة تشكل موضوع النص، ونتوصل إلى اكتشافه عن طريق تفكيك وحدات النص الدالة وإعادة تكوينها لنصل إلى الفكرة المهيمنة على العمل الإبداعي وللتيمة "وظيفة أساسية وتتمثل في توحيد المكونات الأساسية للعمل الأدبي حول غرض محدد، أي ضمان انسجامه وبنائه الخاص كما يمكن أن تكون هذه التيمات مشتركة في أعمال متعددة للكاتب نفسه، أو عدة كتاب في حقبة واحدة، وهي تتصل بصور أو أفكار أو حوافز متكررة على طول العمل الأدبي وهذا تكرار للتيمة يجعلها تترابط فيما بينها لضمان وحدة ومعمارية العمل، وفي الوقت نفسه تنفتح على كل ما هو خارج نصي، بغية الكشف عن علاقة الذات بالعالم الذي تعيش فيه، ونعبر عنه من خلال الإنتاج الأدبي"[2]ومن هذا القول نرى أنّ للتيمة وظيفة أساسية تكمن في العمل على تماسك المكونات اللغوية والتركيبية للنص الأدبي، كما يمكن للتيمة أن تتكرر على طول النسيج اللغوي المكون للعمل الأدبي مما يحقق هذا الانسجام والترابط داخل النصوص الأدبية، وبالتالي فالتيمة هي البناء الموحد لجمل النص المتشابكة تركيبيا ودلاليا بواسطة فكرة مسيطرة على العمل الإبداعي.

3- تيمة الحرب

تعّد حروب العرب ووقائعها من أهم عناصر الشعر الأموي ومقوماته، حيث اتّخذ جرير من الحرب مادة أولية بنى عليها معظم قصائده، كما اتكأ عليها في مقارعة خصومه وترويعهم وثلبهم ورفع عصا السخرية والهجاء في وجوههم، فجاء شعر جرير شاهدا على الصراعات القبلية الدامية بين أفراد القبائل المجاورة بدافع الثأر أو الإغارة أو الصراع على السلطة والسيادة، وبذلك أسهم جرير بشعره في تغذية النعرات الطائفية وإعادة ظهورها بعد أن كانت محظورة في عصر صدر الإسلام، وقد اصطبغ شعره أيضا بلون المعارك وما يثار فيها

[1]- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة ببال للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1989 م، ص 07.

[2]- سعيد يقطين: الفكر الأدبي العربي البنيات والأنساق، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014م، ص 77.

من صور الخيل وما يصاحبها من نيران وصلابة الفرسان الشجعان، إلى جانب ذلك وصف أحوال المقاتلين واشتداد لهيب الحرب "وصورة الحرب في القصيدة العربية القديمة متسعة تمتد أطرافها حتى تضم جوانب المعركة ويتحرك في مدارها الفارس حتى يلون قسماتها بأزهى الألوان، وتتعالى في فضائها لوامع الرماح وهي تشتجر، وبريق السيوف وهي تتقاطع، وسوابق الخيل وهي تكر تارة وتفر تارة أخرى، فهي صورة كبيرة تستوعب القصة الحربية بتفاصيلها"[1].

4- هيمنة تيمة الحرب في شعر جرير

إن القارئ لديوان جرير قراءة عميقة يلاحظ أنّ تيمة الحرب هي الموضوعة المهيمنة على المدونة الشعرية، وهي التيمة الرئيسة التي تحرك فضاء الكتابة الشعرية لديوان جرير، و هذا يذكرنا بفكرة مستمدة من الناقد "عبد الكريم حسن" مفادها" أنّ من الوظائف البنيوية للموضوع الرئيس أنه هو الذي يفرز بقية الموضوعات و يولدها بشكل آلي"[2] كما أننا اهتدينا إلى أنّ {أيام العرب} و{الضرب} و { المنايا }و {العصبية القبلية} و {أيام الروع} كلها موضوعات تفرعت عن الموضوع الرئيس المتمثل في تيمة (الحرب)، وأيضا ثمة فروع للموضوعات الفرعية فموضوع الدماء والسلاح والفناء والكلوم والجروح والنزاع والشقاق والتناحر والصراع هي فروع للموضوعات الفرعية التي تأتي في الدرجة الثالثة و هناك فروع أخرى لفروع الفروع و هكذا .....

1.4- التشجير الموضوعاتي للمفردات

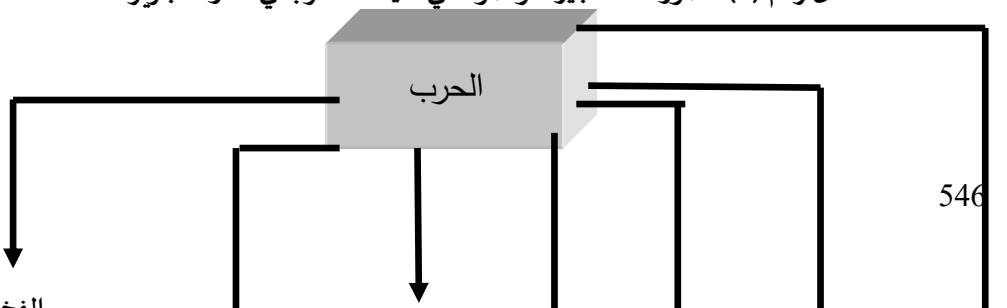
لقد قادنا الجرد الإحصائي لمعجم الحرب إلى أنّ هذه الكلمة تتكرر (83) مرة على امتداد 148 قصيدة من الديوان الشعري للشاعر جرير، وهي أعلى نسبة فإذا أضفنا إليها مفردات أخرى من العائلة اللغوية نفسها (القتل الوغى، أيام الرّوع، المنايا، الموت، الضرب، الكلوم، الجيّاد السواهب أيام العرب،يوم البشر،يوم ذي نجب جيش لجب، الطعّان، الفرسان، السيوف، الدروع الردينات العدى، الغطاريف، الخناديد، الفحل الكريم النار مشرّدا) بلغت

[1]- نوري حمّودي القيسي: شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1406 – 1986 م، ص 35.

[2]- عبد الكريم حسن: الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السيّاب، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1983م، ص197.

معدلا مهولا ومرتفعا والموضوع في عرف النقد الموضوعاتي عبارة عن شجرة لها جذوع تتفرع عنها موضوعات كثيرة والموضوع الرئيسي الذي هو (الحرب) تتفرع عنه موضوعات فرعية هي: { الموت، القتل الطعن، حزّ الرؤوس، الضرب الوغى، لبوس الحديد، السيوف، الرماح، النيران الموقدة، الاشتعال، الثورة التمرد العصيان} وتأتي بعد هذه الفروع فروع أخرى أدنى كالجزع والهلع و الخوف والدماء والجروح والصمود والمقاومة والثبات والشجاعة و الأبطال والمواجهة و هي موضوعات متفرعة، عن الكبرياء والعظمة والانتصار والفخر والصلف والتباهي، وأمّا موضوع الفخر فنجد له فروعا كالاعتزاز بالنسب الأصيل النقي والاعتداد بالأرومة الشامخة والتباهي بالمناقب والمآثر، والتغني بالحسب الماجد والسؤدد والتعظيم بالآباء، وفي مقابل موضوع الفخر نجد موضوع المثالب والعيوب تتولد عنها موضوعات تتعلق بالطعن في الشرف والانتقاص من الخصم وتصغيره أمام قومه و عشيرته، و عليه تكون صورة التشجير الموضوعاتي لتيمة الحرب في مدونة جرير على النحو التالي:

الشكل رقم (1): صورة التشجير الموضوعاتي لتيمة الحرب في مدونة جرير



فالملاحظ من خلال هذا المخطط التوضيحي للموضوع الرئيس وفروعه وفروع فروعه، أننا قد جعلنا المدونة الشعرية لجرير تعود إلى موضوع رئيس واحد و (الحرب)، ثم قمنا

بالكشف عن الموضوعات التي تفرعت عن الموضوع الرئيس وبعدها أبرزنا فروع الفروع وهكذا.

جدول رقم (1): يوضح بالأرقام التواتر لكلمة الحرب في القصائد

القصيدة	رقم الصفحة	لفظة الحرب	الترادف	القرابة اللغوية
الحجاج أثقبها شهابا	20	01	04	20
لنا فارطا حوض الرسول	24	01	02	06
لا تفخر وأنت مجاشعي	28	01	08	15
تنجبك الخلافة	37	01	02	07
فوارس الحصبّات منا	47	01	01	02
عجبت لفخر التغلبي	48	01	06	10
شر الفحول والأم الخطاب	51	01	02	05
ألا ربّ جبار	53	03	04	14
ألؤم واغتراب	56	01	03	08
أقلي اللوم والعتاب	59	02	03	22
عليكم ذا الندى عمر	70	01	02	17
هشام الملك والحكم المصفى	74	01	02	19
إلى معاوية المنصور	78	02	04	17
يقول لي الحدّاد	82	01	02	12
طير الحجاج	86	02	03	23
للسوآت زوار	96	01	01	18
لولا الحياء	98	01	05	26
ذروا الرفادة وانفحوا الأكيار	100	01	03	21
لحق الفرزدق بالنصارى	102	02	04	13
ضاربو هام الملوك	103	01	02	19
زوروا يزيد	105	02	02	25

ملوك وأخوال الملوك	107	05	11	27
إنّ الفياش بكم مزر	109	02	05	16
رحلت بخزية وتركت عارا	113	01	02	09
وعوى الفرزدق للأخطل	114	01	03	11
عضاريط يثيرون الفوارس	117	02	04	18
رويدا لافتخارك يا ابن تيم	119	01	03	09
زار القبور أبو مالك	122	01	02	07
ليس الوفي كالغادر	127	01	02	08
نحن ورثنا عادا	133	03	06	13
مساع لم تنلها مجاشع	137	02	03	06
بئس الفوارس مجاشع	142	02	07	08
علونا كما تعلو النجوم	144	01	03	04
نفاك حجيج البيت	148	03	09	03
نية قذف	151	01	02	06
بئس التغليبي أبا وخالا	153	01	02	07
سم ناقع	156	01	03	10
قبح الإله وجوه تغلب	161	01	02	23
بكى دوبل	169	02	05	14
ضغا القرد لما مسه الجهد	172	01	06	22
شبه الرجال وما هم بالرجال	177	01	02	09
نعم الحماة	179	02	03	02
البناء الخالد	180	02	02	11
متى تأتي الرصافة تخز فيها	183	01	02	07
أكرم بالخؤولة والعموم	184	01	03	02
نور البلاد	185	02	04	04
اللئام عليّ غير كرام	195	01	02	08

منازل عافية	197	01	02	06
لا مسلمين ولا كراما	204	01	02	03
أم سوء	208	01	03	02
ابن آكلة النخالة	213	01	02	07
الفرزدق ثعلب ضغا	217	01	03	09
قصير القوائم	221	01	02	17
أطال الله سخطكم	225	01	03	19
كتاب اللؤم	227	01	04	23
بني منقذ لا صلح	232	02	02	11
يا حبذا جبل الريّان	233	02	04	06
السلطي سوأه [1]	235	01	03	04
المجموع	/	83	193	690

ما نلاحظه على هذا الجدول أنّ تيمة الحرب قد شكّلت تواترا كبيرا على مستوى 148 قصيدة من ديوان الشاعر جرير بمعدل 83 مفردة للكلمة ذاتها (الحرب)، و193 مفردة مترادفة ترادفا مباشرا لكلمة الحرب، و690 كلمة تمثل قرابة معنوية مباشرة أو غير مباشرة للحرب.

إنّ المبادئ الثابتة التي اعتمدنا عليها في عملية الجرد الإحصائي، كما يظهرها لنا الجدول أعلاه تشير إلى حضور المفردات المترادفة بمعدلات عالية، أمّا على مستوى القرابة المعنوية فيتميز حضور المفردات بمعدلات طاغية مكثفة،وهذا يدل على صورة الحرب القاتمة السوداوية وبشاعتها المستفزة، فوجهها أحمر مطرز بالجحيم تستفرغ جمرات الشّر في جوف ضحاياها وتطرقهم بميسم المعاناة النفسية، و تترك فيهم آثارا دامية لا تزول رغم مرور السنين ورغم هذا فإنّ الشاعر جرير يسخّرها لخدمة فنه وإثبات تفوقه الهجائي في فنون القول عن طريق رسم صور بيانية متفاوتة الحسن و الجمال تارة، و تارة أخرى تضرب

[1]- جرير بن عطيّة: ديوان جرير.

على وتر صرخات الثكالى وتوجعهم، و الناظر لديوان جرير يلمح معالم التاريخ وحوادثه الماضية ماثلة أمام ناظريه فديوان جرير فيه"ذكر لكثير من معارف العرب وسننهم الاجتماعية وشرح أمثالهم وعاداتهم، وأهم من ذلك كله جانبان خطيران: أيام العرب، والحوادث التاريخية، ثم أقباس من سير الشعراء، والعظماء، والأمراء و القواد "[1].

5- تمظهرات تيمة الحرب في شعر جرير

يتطلب الحديث عن الحرب استدعاء الأدوات والوسائل الحربية المتعددة، وقد وردت في ديوان جرير حاملة في طياتها رؤية الشاعر لصعوبة الحياة وقساوتها، ومعايشته لأحداث عصره الذي اتسم بالفتن والصراعات الدموية وأسهمت في تشكيل تجربته الشعرية، وإثراء الفضاء الموضوعي الذي تدور في فلكه تلك المعاني، وإذا كانت الحرب أحد الموضوعات التي ظهرت في ديوان جرير، فإن المتأمل لتيمة الحرب في شعر جرير يجد أنها تتمظهر في عدد من التيمات الفرعية التي تشكل عناصر التيمة المهيمنة ألا وهي (الحرب)، ومن ذلك حديثه عن أدوات الحرب المتمثلة في السيوف والدروع والسهام والرماح ويصف مدى قوتها وشدّتها في مقارعة الأعداد والبطش بهم، فالحرب لا تكتمل من دون أن تكون لها عدّة وعدد.

5-1. تيمة الأيّام

لقد شاعت أيّام العرب في شعر جرير، ووظفها في أغراض مختلفة كالفخر والهجاء ووصف المعارك والوقائع، وهذه الأيّام "ترتد إلى العصر الجاهلي فتتصل بتاريخ القبائل في الماضي، وإسلامية تلامس تاريخه الحديث"[2] وكان جرير يستدعي الأيّام ويوظفها في شعره تبعا للموقف، كما أنه لم يكن يستحضر أيّام قبيلته فحسب، بل تعدّى ذلك إلى أيّام أخرى وجد فيها ضالته في هجاء خصومه.

أ-يوم طخفّة

هو يوم لبني يربوع (قوم جرير) على عساكر ملك الحيرة اللخمي النعمان ابن المنذر

وقد هزمت يربوع جيوش النعمان، وأسرت أخاه حسّان بن المنذر وابنه (قابوس بن المنذر)

---

[1]- أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1954م، ص 330.

[2]- أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص 257-258.

يقول جرير:

وَتَرفَعُنا عَلَيكَ إِذا اِفتَخَرنا*** لِيَربوعٍ بَواذِخُ شامِخاتِ

هُمُ سَلَبوا الجَبابِرَ تاجَ مُلكٍ*** بِطِخفَةَ عِندَ مُعتَرَكِ الكُماةِ[1]

هنا يفخر ببني يربوع ويراهم أرفع من أبناء الملوك وأعلى مكانة منهم ويقول في مواضع أخرى من الديوان الشعري مكررا (يوم طخفة) عدة مرات.

وَاِستَنزَلوا حَسّانَ وَابنَي مُنذِرٍ*** أَيّامَ طِخفَةَ وَالسُروجُ تَقَعقَعُ

تِلكَ المَكارِمُ لَم تَجِد أَيّامَها*** لِمُجاشِعٍ فَقِفوا تُعالَةَ فَارضَعوا[2]

ويقول أيضا:

بِطِخفَةَ ضارَبنا المُلوكَ وَخَيلُنا*** عَشِيَّةَ بِسطامٍ جَرَينَ عَلى نَحبِ[3]

ويقول أيضا في موضع آخر من الديوان الشعري:

غَضِبنا يَومَ طِخفَةَ قَد عَلِمتُم*** فَصَفَّدنا المُلوكَ بِها اِعتِسارا[4]

وهكذا تتداع أيّام طخفة المكررة في المدونة للإشادة بمناقب قبيلة الشاعر، والافتخار بأيّامها الظافرة على ملوك المناذرة.

ب- يوم الرّحوب

في هذا اليوم يسخر الشاعر من الأخطل بسبب الهزيمة النكراء التي لحقت بقومه التغلبيين، ويعيّره بالضعف والجبن يقول:

رَقَصَت بِعاجِنَةِ الرَحوبِ نِساؤُكُم*** رَقصَ الرِئالِ وَما لَهُنَّ ذُيولُ

أَينَ الأَراقِمُ إِذ تَجُرُّ نِساؤُهُم*** يَومَ الرَحوبِ مُحارِبٌ وَسَلولُ

قَد كانَ في جِيَفٍ بِدِجلَةَ حُرِّقَت*** أَو في الَّذينَ عَلى الرَحوبِ شُغولُ[5]

جاء تكرار يوم (الرّحوب) ثلاث مرات في قصيدة الشاعر مرتبطا بمعرفة الشاعر بأيّام العرب، واتصال قومه بالأيّام فالشاعر هنا في مقام المؤرخ الذي يعيد تسجيل أحداث

[1]- ديوان جرير، ص 70.
[2]- ديوان جرير، ص 272.
[3]-ديوان جرير ، ص 54.
[4]- ديوان جرير ، ص 217.
[5]-ديوان جرير ، ص 382.

تاريخية جرت في عصره، ويسترجع ذكريات الحروب والمعارك ويعيد رسمها من جديد وتنظيمها شعرا.

ج- يوم ذي نجب:

يفخر الشاعر بيوم ذي نجب، وهو ليربوع على قبيلة قيس عيلان إذ يقول:

فَاِسأَل بِذي نَجَبٍ فَوارِسَ عامِرٍ*** وَاِسأَل عُيَينَةَ يَومَ جَزعِ ظِلالِ[1]

كما يشيد بيوم ذي نجب في بائيته المشهورة فيقول:

حَمَينا يَومَ ذي نَجَبٍ حِمانا*** وَأَحرَزنا الصَنائِعَ وَالنِهابا[2]

ويقول في موضع آخر من الديوان:

بِذي نَجَبٍ ذُدنا وَواكَلَ مالِكٌ*** أَخاً لَم يَكُن عِندَ الطِعانِ يُواكِلُه[3]

فعند الشدائد تتحد القلوب، وتتقارب النفوس لتكون قلبا واحدا في وجه الأعداء، وهذا حال قوم جرير.

ويستمر الشاعر في تكرار يوم ذي نجب بوصفه يوما عظيما انتصر فيه قومه على بني عامر من قيس عيلان، حيث يقول:

إنّا بِطِخفَةَ أَو أَيّامِ ذي نَجَبٍ*** نِعمَ الفَوارِسُ لَمّا اِلتَقَّتِ العُذَرُ

لَولا فَوارِسُ يَربوعٍ بِذي نَجبٍ*** ضاقَ الطَريقُ وَعَيَّ الوِردُ وَالصَدَرُ[4]

ومن هنا يرى المتأمل في تيمة الأيّام أنها تكررت عدة مرات في مواضع شتى على طول الديوان الشعري لجرير، وهذا يدل على مدى تضافرها وتعاضدها، حيث أسهمت في بناء جانب من تيمة الحرب في مدونة جرير إلى جانب عدد من الموضوعات الفرعية.

2-5. تيمة الفوارس

شكلت لفظة الفوارس عنصرا رئيسا من عناصر تيمة الحرب لدى الشاعر، وقد بدت بارزة في الديوان من خلال استدعاء صفات الفرسان ومعنى الفروسيّة هي "البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم وإطعام الضيف وحماية الحقيقة والذود

[1]- ديوان جرير ، ص 275.

[2]- ديوان جرير ، ص 59.

[3]-ديوان جرير ، ص 387.

[4]- ديوان جرير ، ص 197-198.

عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث واستجابة لصرخة المنادي، إلى غير ذلك ممّا تستوجبه النخوة ويتطلبه الشعور الإنساني...فشخصية الفارس البطل تملي عليه أن يكون إنسانا ساميا في مثله إلى جانب بطولته".[1]

ويجد الشاعر في وصف بطولة الفرسان وقدرتهم الفائقة في التحكم بزمام المعركة متنفسا للتعبير عن مدى إعجابه بهم والافتخار بصنيعهم فيقول:

وَإِنّي لَمِن قَومٍ تَكــونُ خُيولُهُم *** بثَغرٍ وَتَلقــاهُم مَقانِبَ قُوَّدا
يَخُشّونَ نيرانَ الحُروبِ بِعارِضٍ *** عَلَتهُ نُجومُ البيضِ حَتّى تَوَقَّدا
وَكُنّــا إذا سِــرنا لِحَيٍّ بِأَرضِهِم*** تَرَكنــاهُمُ قَــتلى وَفَلّاً مُشَرَّدا
وَمُكتَبَلاً في القَــدِّ لَيــسَ بِنازِعٍ *** لَهُ مِن مِراسِ القِدِّ رِجلاً وَلا يَدا
وَإِنّي لَتَبتَزُّ الرَئيسَ فَــوارِسي ***إذا كُلُّ عَجعاجٍ مِنَ الخورِ عَرَّدا[2]

يفخر الشاعر بانتمائه لفوارس قبيلته الشجعان، ويصفهم بالبطش والشدّة وكثرة العدد، وأنهم يصدون خصومهم ويقيدونهم في الحديد فلا يستطيعون افتكاكا منه لقوة القيّد وصلابته فهم كالجيش الجرّار يأتون على بلدة ما فيجعلون أعاليها سافلها فيعثون الخراب والدمار والقتل، وتتكرر هذه الرؤية الحربية في أبيات أخرى من ديوان الشاعر يكرس فيها فكرة الانتماء للفوارس الشجعان الذين يرهبون الأعداد ويفاخر بهم، وبفرسان مضر المشهورين في الجاهلية والإسلام يقول:

قَومي تَميمٌ هُمُ القَومُ الَّذينَ هُــمُ ***يَنفونَ تَغلِبَ عَن بُحبوحَةِ الدارِ
تَــرمي خُزَيمَةُ مَن أَرمــي وَيَغضَبُ *** لي أَبــــناءُ مُرٍّ بَنو غَرّاءَ مِــذكــارِ
جِــئني بِمِثلِ بَــتني بَدرٍ لِقَومِهِمُ *** أَو مِثلِ أُسرَةِ مَنظورِ بــنِ سَيّــارِ
ومِــثــلِ آلِ زُهَيرٍ وَالقَنا قِــصَدٌ *** والخَــيلُ في رَهَجٍ مِنها وَإِعــصارِ
وعــامِرِ بِن طُفَيلٍ في مُــرَكَّبِهِ*** أَو حــارِثٍ يَومَ نادى القَومُ يا حــارِ[3]

[1]- نوري حمودي القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1384هـ-1964م، ص29-30.

[2]- ديوان جرير، ص144-145.

[3]- ديوان جرير، ص241-242.

فجرير هنا يعدّد أسماء الفرسان العرب الأبطال المعروفين في الجاهلية والإسلام، ويشيد بمناقبهم ويلوذ بآصرة الرحم الكبرى التي تربطه بقبائل مضر كافة، ليفاخر خصمه الأخطل الذي ينتمي لقبائل ربيعة ويعلو عليه، وقد تجلت تيمة الفرسان في ديوان الشاعر بوصفها عنصرا من عناصر الموضوعة الكلية (الحرب) التي اعتمد عليها الشاعر في الافتخار بقبيلة تميم القوية المشهورة بفوارسها الشجعان.

3-5. تيمة السلاح

احتلت تيمة السلاح منزلة عليّة عند الشاعر جرير لأهمية السلاح بحسم نتيجة المعركة والمتأمل لشعره يجده يصف السيوف والرماح والدروع في مواضع متعددة إكبارا لقيمة السلاح في تحقيق النصر "فالسلاح يعدّ كهوية الفارس بين القبائل".[1]يقول:

وَقَدْ جَرّبَ الهِرْمَاسُ وَقْعَ سُيُوفِنَا *** وصَدّعْنَ رَأسَ ابنَ كَبْشَة مَغْفِرَا[2]

في هذا البيت يفتخر الشاعر بقوة سيوفهم فلا شك في بطشها فهي تقطع الرؤوس بلا هوادة ولا تضعضع، ويحيل الفعل صدّعن إلى إدراك الثأر من الواترين، ولكن حزازات النفوس رغم إدراك الثأر تبقى قابعة في الأعماق، فكلما مرّ بها عارض يذكّرها بالعداوة اهتزت مجددا، وحرّكت أغصان الضغينة والحقد الدفين، وكأنّ الأخذ بالثأر لم يشف الغليل بعد فدم القتيل لا ينقطع بل يورث، ويأتي جرير في موضع آخر بلفظة قريبة في المعنى من لفظة السيف وهي لفظة مرهفة بيض وهي كناية عن السيف الحادّ القاطع إذ يقول:

وَنَحنُ صَدَعنا هامَةَ اِبنِ مُحَرّقٍ *** فَما رَقَأَت تِلكَ العُيونُ الدَوامِعُ

بِمُــرهَفَةٍ بيضٍ إذا هِيَ جُرِّدَت ***تَأَلَّقُ فــيهِنَّ المَنايا اللَوامِـــعُ[3]

ويستمر الشاعر في وصف مناظر القتل والضرب والصدّع والسيوف القاطعة إذ سلّت من أغمادها بأيادي حاذقة ماهرة في شطر الأجساد وضرب الأعناق، كما يكرر الشاعر لفظة السيوف في كذا موضع من أبيات القصيدة ومن ذلك قوله:

هَزُّوا السُيُوفَ فَأَشْرَعُوهَا فيكُمْ *** وَذَوَابِلَ يَخْطُرْنَ كَالأَشْطَانِ[1]

---

[1]- ابن الكلبي أبو منذر هشام بن محمد: كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط3، 1955م، ص56.

[2]- ديوان جرير، ص188.

[3]- ديوان جرير، ص293.

كما أضاف الشاعر سلاحا آخر وهو الذوابل (الرماح) وشبّه الرماح بالحبل الذي يخترق البئر ليسقي المارة، فالرماح شقّت الأبدان واخترقتها وشربت من دماء الجثث حتى ارتوت، كما كرر الشاعر لفظة الرماح في موضع آخر من ديوانه الشعري في قوله:

مَصَاعيبُ أَمْثَالُ الهُذَيلِ رِمِاحَهُمْ*** بِهَا مِنْ دِمَاءِ القَوْمِ خضبٌ عَلَى خَضَبِ[2]

صور الشاعر في هذا البيت مشاهد الرماح الرهيبة وهي مخضبة بدماء القتلى، وكأنّ الرماح لم تكتف بعملية تخضيب واحدة، بل ما تنفك تطلب المزيد من الدماء لتتحول في الأخير إلى السواد المرير الدال على الضياع والفناء، وبذلك تزداد درجة الألم أكثر فأكثر فتتراكم في أثناء ذلك مشاعر الغضب، وتتفجر على أرض المعركة في شكل ضربات عشوائية مباغتة عنيفة، فالحرب تطلق العقل البشري من عقاله وتجعله لا يتحكم بذاته، وتكرار ألفاظ السلاح يمثل ظاهرة ملحوظة في شعر جرير فهو يكرر لفظة الرماح مثلا في عدّة أبيات إمّا باسمها الصريح، وإمّا بألفاظ مترادفات كالذوابل ويأتي ذلك لمعاني عدة ارتبطت بنفسية الشاعر الراغبة في التفوق والظهور، ومعايشته لحوادث عصره الحقيقية.

هكذا تتظافر هذه التيمات مع غيرها من التيمات الفرعية لتشكل عناصر التيمة المهيمنة (الحرب).

6- هندسة الوعي واللاوعي في ديوان جرير

لقد حاول الشاعر من خلال الديوان أن يقدم لنا صورا متعددة للحرب بشتى الأساليب والطرق، وأن يرسم لها لوحات مختلفة وذلك حسب حالته النفسية التي يتداخل فيها الوعي واللاوعي، ففي قوله مثلا:

جَزِعتَ اِبنَ ذاتِ الفَلسِ لَمّا تَدارَكَت** مِنَ الحَربِ أَنيابٌ عَلَيكَ وَكَلكَلُ[3]

نجد أنّ الحرب بمثابة وحش حيواني كاسر، فكيف إذا تحولت الحرب كظاهرة إلى حيوان مفترس؟ له أنياب حادّة تنهش لحوم البشر، و تمزق أوصالهم و تنزل بكلكلها الثقيل على صدورهم فتشدّ عليهم الخناق و تقطع أنفاسهم، إنها هندسة لاواعية ولكنها تمنح للحرب مكانة كونية ووسيطة بين الطبيعة والحيوانية، ولا يفوتنا الجرد الإحصائي الذي

---

[1]- ديوان جرير، ص473.

[2]- ديوان جرير، ص54.

[3]- ديوان جرير ، ص 366.

تكشفت عنه مجموعة من التكرارات التي تدل على انفتاح الصورة الشعرية وتنامي الموضوعاتية عبر علاقة اللاوعي بالعملية الإبداعية، التي تتحد من خلال التكرار الاستنساخي فتتحول الحرب من ظاهرة طبيعية إلى كائن حيواني متوحش، وتتوالى التداعيات اللاواعية في الإبداع الشعري لديوان جرير في قوله:

فَاِسأَل إِذا خَرَجَ الخِدامُ وَأُحمِشَت*** حَربٌ تَضَرَّمُ كَالحَريقِ المُشعَلِ

وَالخَيلُ تَنحِطُ بِالكُماةِ وَقَد رَأوا *** لَمَعَ الرَّبيئَةِ في النِيافِ العَيطَلِ[1]

وهنا يستبدل الشاعر الصورة الحيوانية المفترسة للحرب بصورة الحريق و الاشتعال التي تقودنا بالضرورة إلى الصورة الكبرى، وهي صورة الجحيم ذلك أنّ الحرب فتحت على البشر أبواب الجحيم ولم توصده، حتى هشمت جماجمهم ودكّت عظامهم و دحرجت رؤوسهم على الأباطح يلهو بها الغلمان ويتخطفها الغربان، فأيّ صورة مهولة هاته التي أطّرها اللاوعي في شكل شبكات متعددة من الصور المتفاوتة في البشاعة، ولا يزال لاوعي الشاعر يلاحق صوره الشعرية فتحولات الحرب عنده في تزايد بين نار و جحيم وافتراس وأنياب واشتعال وسيلان الدم وتساقط اللحم وضرب الأعناق وحزّ الرؤوس وكل هذه الموضوعات الفرعية أسفرت لنا عن سياقات نصية مغرقة في السوداوية والبطش والعبث الإنساني، وانعدام الرحمة وحضور الروح العصبية القبلية والذوبان بين ضلوعها والذود عن أحساب القبيلة وأنسابها بلغة الدم وسلاح الفناء والعدم.

7- سيكولوجية المبدع "جرير"

الأنا بوصفه عنصرا في البنية الشعرية للديوان: وفيه ربط بين ذات الشاعر (الأنا) بالموضوع (الحرب) بوصفه مصطلحا نفسيا "ويعرف في علم النفس بصورة عامة بأنه ذلك الشيء الخارجي أو الشخص الذي يتجه إليه الفعل أو الرغبة إدراكا أو نزوعا أو وجدانا، فهو كل ما يقابل الأنا أو الذات"[2]ومن خلال الديوان الشعري لجرير تظهر لنا التجليّات النفسيّة في قوله:

وَإِنّــي لَمَغرورٌ أُعَــلَّلُ بِالمُنى *** لَيـالِيَ أَرجـــو أَنَّ مــالَكَ مـــالِيـا

---

[1]-ديوان جرير، ص 359،358.

[2]- فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية بيروت، ط1، ص443.

فَأَنتَ أَبي ما لَم تَكُن لِيَ حاجَةٌ *** فَإِن عَرَضَت أَيقَنتُ أَن لا أَبا لِيا
أَنا اِبنُ صَريحَي خِندِفٍ غَيرَ دِعوَةٍ *** يَكونُ مَكانُ القَلبِ مِنها مَكانِيا[1]
وَلَيسَ لِسَيفي في العِظامِ بَقِيَّةٌ *** وَلِلسَيفِ أَشوى وَقعَةً مِن لِسانِيا

يكشف ضمير المتكلم"أنا" هنا عن الإعجاب بالنفس والزهو بها والتطبيل لها تحت أنغام العجرفة والكبرياء، فيا له من إحساس مثقل بالتفرد والغرور على حدّ إقراره هو إقرار مباشر بأنه مغرور لا يحسب حسابا لشيء مهما كان، حتى والده استغنى عنه في سبيل الحصول على مراده فعرّفنا ضمير "الأنا" بذات الشاعر وسماتها النفسية، و يتعارض مع ضمير الأنا ضمير الغائب الآخر فيقول:

وَلَيسَ لِسَيفي في العِظامِ بَقِيَّةٌ*** وَلِلسَيفِ أَشوى وَقعَةً مِن لِسانِيا

وكأننا نعثر ههنا على التعارض في صفات القوة و البطش فانطلاقا من هذه الموازنة التي عقدها الشاعر بين لسانه (سيفي) والسيف الحقيقي (السلاح)، تلوح لنا ملامح الغلبة للسان الشاعر فهو أشد وقعا وحدّة على الأعداء والخصوم من وقع السيف القاطع، فالسيف الحقيقي يصدأ ويذبل أمام لسان الشاعر الصارم الذي إذا هجا به أوقع في نفس مهجوه العار ولحقته سبة العرب مدى الدهر ويمكننا التعرف على شخص المتكلم "أنا" على نحو واضح في القصائد كلها على أنه شاعر فذّ ضليع، كما يمكننا معرفة سماته التي تميزه عن غيره و تكاد هذه السمات تتكرر في قصائد الديوان كله، فالأنا في هذه المدونة الشعرية صورة المتمكن المعجب بنفسه المعتز بموهبته الشعرية الرنّانة الباحث عن المجد والشهرة على حساب نبش أيام الماضي ووقائع التاريخ والاعتداد بالأحساب والأنساب وثلب الأقوام الأخرى المعادية له، وتنحصر وظيفته في قرض الشعر وهو يفصح عن ذلك باستمرار فالشعر بالنسبة إليه هوية وعنوان لذاته فيكشف أنا الشاعر عن هاجس موضوعاتي، تبدو الأنا في ديوانه الشعري ضخمة حدّ الانفجار تزهو في سماء الرفعة والسمو وثائرة ساخطة أحيانا تقف بالمرصاد في وجه كل من يحاول إلحاق الذل والعار به وبقبيلته القوية تميم.

الخاتمة

[1]- ديوان جرير، ص 501.

لابّد بعد هذه الرحلة البحثية لمقالنا أنّ نختمها بنتائج واستنتاجات توصلت إليها، والتي تتمثل في:

- أنّ النص الشعري يحمل أفكارا إيديولوجية فهو مرآة عاكسة لاتجاهات فكرية ومذاهب ثقافية يؤمن بها الشاعر، فمهما حاولنا دراسته بعيدا عن هذه الخلفيات فإنها تطّل برأسها علنا وتكشف صاحبها، كما حمل الديوان الشعري لجرير مضامين سياسية وتاريخية وحربية.
- تعدّ تيمة الحرب من أبرز التيمات الحاضرة في النص الشعري إلى جانب تيمات صغرى أو ثانوية عمدت إلى إبرازها وكشف اللثام عنها، عن طريق تقنية الجرد الإحصائي لمعجم الألفاظ، وقد شكلت تيمة الحرب فضاءً موضوعيا لدى جرير في مدونته الشعرية، وتكوّنت من موضوعات فرعية صوّرت الوقائع الحربية والصراعات الدامية وكشفت عن رؤيته وتأملاته.
- اتسمت مدونة جرير ببعض المظاهر الفنية، وبرز من بينها التكرار الذي يمثل وسيلة تعبيرية تكشف عمّا يجول في نفس الشاعر من أفكار وموضوعات، تشكلت في وعيه وانعكست على نتاجه الإبداعي.
- ورد التكرار في الألفاظ مثل (الحرب والسلاح والأيّام والفوارس) دالا على علوقها في نفس الشاعر واهتمامه بها، فجاءت مرتبطة مع موضوعة الحرب الهائجة وشدّة ضراوتها وغليانها.
- تولدت عن تيمة الحرب عدة تيمات فرعية مثل (الضرب، الصّدع، الجثث، القتلى، الدماء، والسلاح والأيّام والفوارس) باعتبارها تيمات ثانوية تظافرت مع بعضها البعض في تحديد التيمة المهيمنة على النص الشعري مشكلة مجموعة من الشبكات اللغوية المكونة للعمل الإبداعي.

قائمة المصادروالمراجع:

1. جرير بن عطيّة: ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406ه - 1986م.
2. ابن الكلبي أبو منذر هشام بن محمد: كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط3، 1955م.
3. إحسان النص: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار الفكر، ط2، 1973 م.
4. أحمد الشايب: تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1954م.
5. زكي المحاسنى: شعر حرب في أدب العربي (في العصرين الأمويّ والعبّاسي إلى عهد سيف الدّولة)، دار المعارف بمصر-شارع كورنيش النيل-القاهرة.

6. سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1989م.
7. سعيد يقطين: الفكر الأدبي العربي البنيات والأنساق، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014م
8. عبد الكريم حسن: الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السيّاب، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1983م.
9. نوري حمّودي القيسي: الفورسية في الشعر الجاهلي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1884هـ-1964م.
10. نوري حمّودي القيسي: شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1406 – 1986 م.
11. فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1.